



الخطوة الثانية للثورة الإسلامية: بين العلم والإيمان



■ محمود ريا - إعلامي من لبنان

شكّل إعلان الإمام السيد علي الخامنئي "انطلاق" الخطوة الثانية للثورة الإسلامية عام ٢٠١٩، خلال الاحتفالات بالذكرى الأربعين لانتصار الثورة التي فجّرها الإمام الخميني الراحل قدس سرّه الشريف، تمهيداً لتطبيق خطة أربعينية جديدة تقود هذه الثورة إلى آفاق جديدة، فتجعلها أكثر رسوخاً في الأرض، وأكثر شموخاً إلى الأعلي في الوقت نفسه.

جاء إعلان الإمام القائد لهذه الخطة المستقبلية في إطار حديثه إلى الجمهور الأنسب والأكثر قابلية لفهم المعاني التي يتضمنها هذا الطرح المتقدم. ومن أقدر من الشباب على حمل مشعل الثورة من الأجيال السابقة والسير بها إلى المستقبل من الأيام بكل ثقة وعزم وأمل؟ لقد ركز الإمام الخامنئي في هذا الخطاب المميز الموجه للشباب الإيراني المتحفز والمتعلم والمؤمن على رسم صورة متكاملة لمستقبل يليق بهذا الشباب، وبالدولة التي ينتمي إليها وبالأمّة الإسلامية الكبرى التي تشكل إيران جزءاً أساسياً منها. إنه مستقبل يحتاج بناؤه لبنة لبنة إلى كل الإيمان الذي يعمر قلوب هؤلاء الشباب، والتضحيات التي يستعدون لبذلها والأحلام المشرقة التي يضعونها نصب أعينهم، ما يجعل من هؤلاء الشباب طليعة نهضة الشعب والأمّة، وركناً أساسياً في بناء حضارة إنسانية يتناغم فيها التطور والعلم مع الأخلاق والمبادئ، بعيداً عن المسار الجهنمي الذي قادت النزعات المادية العالم إليه، حيث يتم إعلاء شأن العلم وتحطيم معنويات وأخلاق الشباب، ما يؤدي إلى تشويه مسيرة البشرية ويقودها إلى تدمير نفسها بنفسها. لقد كانت الثورة الإسلامية في إيران عند انتصارها مميزة بين الثورات التي شهدتها البشرية على امتداد قرون، فهي ثورة جمعت بين الجماهيرية الشعبية وبين القيم الدينية الإسلامية تحديداً. ما جعلها تقدّم نموذجاً مختلفاً على جميع الصعد الفكرية التنظيرية والعملية التطبيقية، وما زالت هذه الثورة متفردة في التجربة التي قدمتها، مع وجود بعض المحاولات للاقتباس منها والاهتداء بهديها. وما يجعل هذه الثورة منهلاً دائماً للراغبين بالاستفادة والاستزادة هو قدرتها على الاحتفاظ بركائزها الأساسية، مع قدرتها أيضاً على التصحيح والتعديل وفقاً لما تتطلبه الظروف والتطورات، وهذا ما عجزت عنه الكثير من الثورات والحركات الأخرى.

العلم والإيمان
لقد ركز الإمام الخامنئي في خطابه الذي أخذ عنوان "الخطوة الثانية للثورة" على المفهوم

الأساسي الذي أشرنا إليه، أي الاقتران بين العلم والمعنويات. فقد دعا في أكثر من مكان في الخطاب إلى الاهتمام الشديد بالعلم، مشدداً على المنافع الكبرى التي تتحقق من هذا الاهتمام. فـ "العلم هو الوسيلة الأبرز لعزة بلد وقوته". وكما أخذ الحديث عن الإنجازات العلمية التي حققتها الجمهورية الإسلامية خلال عقودها الأربعة الأولى جانباً أساسياً من استعراض سماحة القائد لماضي الثورة والجمهورية المباركتين، فهو - أي العلم - كان أيضاً البند الأول في توصياته الهامة للمستقبل، ما يدل على المكانة الرفيعة التي يحتلها العلم بمختلف فروعه وأنواعه في خريطة بناء مستقبل الأجيال المقبلة كما يراه سماحته. وبقدر ما أشاد سماحة القائد بالإنجازات الكبرى التي تحققت خلال السنوات الماضية، والتي أفاض في تعدادها وذكر أرقامها، فإنه كان صريحاً في الحديث عن استمرار التخلف عن "قمة" العلم بسبب الظروف المختلفة التي مرت فيها إيران، من إهمال النظم الامبراطورية السابقة لهذا المجال الأساسي والهام، إلى الحصار المالي والعلمي الذي فرض على البلاد بعد انتصار الثورة الإسلامية، داعياً الشباب إلى جعل السير في تطوير العلوم "عملاً جهادياً"

”لقد ركز الإمام الخامنئي في خطابه الذي أخذ عنوان "الخطوة الثانية للثورة" على المفهوم الأساسي الذي أشرنا إليه، أي الاقتران بين العلم والمعنويات. فقد دعا في أكثر من مكان في الخطاب إلى الاهتمام الشديد بالعلم، مشدداً على المنافع الكبرى التي تتحقق من هذا الاهتمام. فـ "العلم هو الوسيلة الأبرز لعزة بلد وقوته".

لتجاوز العقبات والوصول إلى المكانة المرموقة. ولن يكون مفاجئاً أبداً إذا كان البند الثاني في "التوصيات" التي قدمها سماحة الإمام الخامنئي للشباب في نهوضهم بمهمة بناء المستقبل الأفضل هو "المعنويات والأخلاق المعنوية"، وهي القيم التي يجب أن يتحلى بها الشباب كجماعة وكأفراد لتحقيق أهداف نهضتهم. فالمطلوب هو "مراعاة فضائل من قبيل حب الخير والتسامح ومساعدة المحتاجين والصدق والشجاعة والتواضع والثقة بالنفس وسائر الأخلاق الحسنة". والاهتمام بهذا الجانب المعنوي ليس أمراً ثانوياً أو هامشياً، وإنما هو أساسي في بناء المستقبل المنشود، "فالمعنويات والأخلاق هي الموجهة لكل الحركات والنشاطات الفردية والإجماعية، وهي حاجة أساسية للمجتمع، ووجودها يجعل من أجواء الحياة جنة حتى مع وجود النواقص المادية، وعدم وجودها يجعل الحياة جحيماً حتى مع التمتع بالإمكانيات المادية".

وبما أن "الأخلاق والمعنويات لا تتحققان حتماً عن طريق الأوامر والنواهي"، فقد كان سماحة الإمام الخامنئي واضحاً في التأكيد على أنه "لا يمكن للحكومات تحقيقها عن طريق القوة القهرية".

ونظراً لأهمية دور الحكومات في هذا المجال فقد وضع سماحة الإمام القائد خطة متسلسلة لا بد من اتباعها لنشر الأخلاق والمعنويات وتثبيتها في المجتمع. وهذه الخطة تقوم على ثلاثة بنود أساسية:

- أن تكون الحكومة نفسها (رئيساً وأعضاء ونظام عمل) تمتلك الأخلاق وتعمل على هديها. "عليها أولاً أن تتحلّى بالسير والسلوكيات الأخلاقية والمعنوية".

- على الحكومة أن تلعب دوراً أساسياً في نشر الأخلاق والمعنويات في المجتمع وبين الناس وأن تساعد من يعمل على ذلك بتقديم كل الدعم الممكن له. "عليها (الحكومة) أن تهَيء الأرضية لإشاعتها (الأخلاق) وترويجها في المجتمع، وأن تتيح الفرص للمؤسسات الإجتماعية للعمل على هذا الموضوع وتمدّها يد العون".

في توصياته ليست بحاجة إلى تحليل ونقاش. فقضية الاقتصاد وحديث سماحة القائد عنها بين الماضي والحاضر والمستقبل تستحق مقالة لوحدها، نظراً للأرقام الدقيقة والمعطيات الواضحة التي أوردتها سماحته في الخطاب. فسماحة القائد تحدث مع الشباب وكأنه يسلمهم أسرار الدولة ومفاتيح الخزائن وأزمة التأثير على مستقبل البلاد. إنه ليس خطاباً سياسياً عادياً، وإنما هو خطاب تأسيسي مفصلي تنطلق من بين كلماته مسيرة رسم المستقبل بكل عناوينه.

وكما هو الحال مع الاقتصاد كذلك كان الأمر مع حديث سماحة القائد عن "العدالة ومكافحة الفساد" في البند الرابع من بنود توصياته، وقد شرح بكل وضوح معنى العدالة وتحدث بكل صراحة عن الفساد وأثره المدمر في المجتمعات على مدى الزمان، لافتاً إلى أن الفساد كان موجوداً حتى في زمن أكثر الحكومات عدالة في التاريخ، ما يعني أن محاربة هذه الآفة هي عملية مستمرة تقع مسؤولية القيام بها على عاتق الجميع.

وتبقى بنود "الاستقلال والحرية" و"العزة الوطنية والعلاقات الخارجية وتحديد الأطر والحدود مع العدو" و"نمط الحياة" معالم أساسية في هذا الخطاب الذي يستحق أن تعالج مفرداته ودقائق توجيهاته بين دفتي كتاب متكامل، وليس في مقال قاصر ومن شخص مقصّر مثلي.

إن خطة عمل تبدأ بدعوة المخاطبين بها إلى الاستفادة من عبر الماضي وقراءتها بدقة للبناء عليها والاستفادة من إيجابياتها والتعلم من سلبياتها، ثم تقوم بتعداد هذه الإيجابيات وشرحها وتبيان السلبيات والتحذير منها، ويعد ذلك تقدم توصيات للمستقبل تقوم على المعلومة والحجة والبرهان، لهي خطة تستأهل أن تكون محل دراسة وتمحيص وتفسير، فكيف إذا كانت صادرة عن قائد ملهم مسدّد مجرّب، قاد بلداً وأمة ومحوراً نحو تحقيق ما عجزت عنه أُمم كثيرة، وتخطى بحكمته وصبره وبصيرته كل العقبات، ليصل بهذه الثورة العظيمة إلى بداية أربعين سنة أخرى من نجاحها الدائم.



لقد كانت الثورة الإسلامية في إيران عند انتصارها مميزة بين الثورات التي شهدتها البشرية على امتداد قرون، فهي ثورة جمعت بين الجماهيرية الشعبية وبين القيم الدينية الإسلامية تحديداً - ما جعلها تقدّم نموذجاً مختلفاً على جميع الصعد الفكرية النظرية والعملية التطبيقية، وما زالت هذه الثورة متفردة في التجربة التي قدمتها

- ويبقى على الحكومة مهمة أساسية أخرى وهي التصدي بحزم لكل المشوّشات التي تعمل على إبعاد الناس عن الأخلاق والمعنويات، وهي مشوّشات كثيرة تقف وراءها أجهزة متعددة وتدخل بطرق متنوعة إلى الأنساق الاجتماعية وإلى النفس الإنسانية لتشويبهها، "كما عليها (الحكومة) محاربة المؤسسات المعادية للمعنويات والأخلاق بأسلوب معقول، وباختصار أن لا تسمح للجهتّيين أن يجعلوا الناس جهتّيين بالقوة والخداع".

وإذا كانت مسؤولية الحكومات كبيرة إلى هذا الحدّ، فإن هذا لا ينفي مسؤولية الأفراد أنفسهم في العمل على تعزيز المعنويات والأخلاق ومحاربة من يعمل على عزلها من المجتمع. ويدعو سماحته إلى "إعداد خطط وبرامج شاملة قصيرة ومتوسطة الأمد في هذا الخصوص والعمل على تطبيقها".

إذاً لم يكتفِ سماحة الإمام الخامني بالحديث عن موضوع الأخلاق والمعنويات بشكل مجمل، ولم يضع فقط خطوطاً عريضة للاهتمام بها في عملية نشر هذه المفاهيم في المجتمع، وإنما رسم خططاً تفصيلية للقيام بهذا الأمر، ودعا المسؤولين للقيام بدورهم الواجب عليهم في هذا المجال، وشدد على إشراك الناس والقوى الفاعلة في المجتمع في هذه "المعركة" الصعبة، ودعا الشباب من جيل المستقبل ليكونوا في مقدمة قافلة السائرين في نهج الاقتران بين الدين والعلم، لما في ذلك الاقتران من سعادة في الدارين، الدنيا والآخرة، وما فيه من دفع كبير وسليم لمسيرة التنمية والتطور التي ينبغي أن تسير فيها الثورة الإسلامية في "الخطوة الثانية".

الاقتصاد.. ومبادئ أخرى

كان موضوعا العلم والقضايا الروحية والمعنوية البيندين الأولين في توصيات سماحة الإمام الخامني إلى الشباب الذي يضع بين أيديهم مستقبل الثورة الإسلامية في السنوات الأربعين المقبلة، وقد أخذ هذان البندان الحيز الأكبر من التركيز في هذه المقالة المتواضعة، إلا أن هذا لا يعني أن البنود الخمسة الأخرى